

الملاحظات

من الألواح الأخرى التي أعلن فيها حضرة بهاء الله بعض تعاليمه الأساسية هو لوح "الكلمات الفردوسية". أنزل هذا اللوح قبل صعود حضرته من هذا العالم بعامين تقريباً وذلك في حق حواريه الأمين الحاج ميرزا حيدر علي.

في هذا اللوح يدعو حضرة بهاء الله أهل البهاء "أن ينصروا الرب ببيانهم ويعظوا الناس بأعمالهم وأخلاقهم". ويصرح بأن "الإنسان يرتفع بأمانته وعفته وعقله وأخلاقه"، ويعتبر "خشية الله الحفظ المبين والحسن المتين لعموم أهل العالم"، ويوصي الملوك والسلطين والرؤساء والأمراء والعلماء والعرفاء بالتمسك بالدين إذ إنه "السبب الأعظم لنظم العالم واطمئنان من في الإمكان"، ويعظم من شأن أمره ومقامه ويومه، وينصح أتباعه بالتمسك الشديد بالاتحاد والاتفاق، ويحضهم على الاشتغال بنصرة أمر الله، وينصح علماء الأمم بأن "غضوا الأعين عن التجانب والابتعاد وانظروا إلى التقارب والاتحاد وتمسكوا بالأسباب التي توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الإمكان"، ويصرح بأن "وجه الأرض عبارة عن شبر واحد ووطن واحد ومقام واحد"، ويقرر بأن "نظام العالم يستقر ويستحکم على أساسين هما الوعد والوعيد" أي المجازاة والمكافاة، ويحذر بأن "إصلاح مفاصد العالم القوية القاهرة مستحيل إلا باتحاد

أحزاب العالم في الأمور أو مذهب من المذاهب"، ويوصي "إن دار التعليم في الابتداء يجب عليها أن تعلّم الأطفال شرائط الدين"، ويحث على اتخاذ لغة عالمية، ويصرح بأن "المحبوب في كل أمر من الأمور هو الاعتدال". "ويزيد موضحاً بأن التجاوز فيها يصير"سبب الإضرار".

كذلك يلفت حضرة بهاء الله الانتباه في "الكلمات الفردوسية" إلى أن "الانزواء والرياضات الشاقة غير فائزة بعز القبول"، مبيّناً أن هذه الممارسات والأمور نشأت "من أصلاب الظنون وتولدت من بطون الأوهام، ولم تَلَقْ لأهل العالم ولن تليق". ويشير أيضاً للمتصوفين بقوله إن سلوك بعضهم كان "سبب الخمود والانزواء". ويشجب حضرته أسلوب حياتهم الذي "يحط من مقامهم ويزيد في غرورهم"، وينصح بقوله "لا بد أن يظهر من الإنسان ثمر لأن الإنسان الخالي من الثمر كما نطق به حضرة الروح بمثابة الشجر بلا ثمر. والشجر بلا ثمر لائق للنار."

في هذا اللوح يوجه حضرته أمناء بيت العدل الأعظم للتشاور فيما لم ينزل من أحكام منصوطة في "الكتاب الأقدس" وإجراء ما يستحسنونه ويأمرهم "بحفظ العباد وصيانة الإماء والأطفال".

لقد أنزل حضرة بهاء الله حدود هذه الدورة وأحكامها التي قدر لها أن تدوم لا أقل من ألف سنة. ووصفت هذه الأحكام بأنها لحمة وسداة نظمه العالمي، وستبقى نافذة ولا يمكن أن ينقضها أو ينسخها أحد سوى مظهر الله التالي. إلا أن هناك بعضاً من الأحكام ارتأت حكمة حضرة بهاء الله عدم وضعها، لأن بعضها ذات طبيعة مؤقتة قد تتبدل بمرور الزمن. في نطاق هذه الأحكام منح بيت العدل الأعظم السلطة لإجرائها. ولبيت العدل أيضاً أن يبت في أي أمر من الأمور غير المنصوصة أو المفصلة في الكتابات المقدسة، إلى جانب الحكم في تطبيق ما أنزل حضرة بهاء الله من أحكام وحدود ووضعها موضع التنفيذ.

وتبياناً لعظمة ظهوره، أنزل حضرة بهاء الله في "الكلمات الفردوسية" هذه الكلمات التي تبعث على التفكير والتأمل:

"يا حزب الله إن اليوم عظيم والنداء مرتفع. وفي لوح من الألواح نزلت هذه الكلمة العليا من سماء المشية ولو بُدلت قوة الروح بتمامها بالقوة السامعة لأمكن أن يقال إنها لائحة لإصغاء هذا النداء المرتفع من الأفق الأعلى. وإلا فهذه الآذان المدنسة لم تكن لائحة لإصغائها ولن تكون. طوبى للسامعين وويل للغافلين."

تشير هذه الكلمات المباركة جلياً بأن ليس في عالمنا هذا من هو لائق حقاً لاعتناق هذا الأمر الإلهي. وما أعظم الفرق بين ضخامة "عالم الروح عند تحويله بتمامه إلى القوة السامعة" وبين ضعف الكائن البشري! وما أوسع الفرق بين مجد ظهور الله وبين تعلق الإنسان بالأمر الدنيوية! أما أن هناك من اعترف بمقام حضرة بهاء الله واعتنق دينه، فيرجع ذلك إلى فضل الله وجوده وليس لجدارة الإنسان. إن الخليفة أوجدت من فيض الله وعطيته، لا من عدله، وهكذا الحال بالنسبة لوحيه وظهوره. فالإنسان بذاتيته المحدودة، لا يستحق مثل هذا العطاء المجيد من خالقه. ويشهد بذلك المؤمن البهائي ويعترف كل يوم وهو يؤدي إحدى الصلوات المفروضة بقوله:

"إلهي إلهي عفوك شجعتني ورحمتك قوتني وندائك أيقظني وفضلك أقامني
وهداني إليك وإلا مالي وشأني لأقوم لدى باب مدين قربك أو أتوجه إلى الأنوار
المشرقة من أفق سماء إرادتك. أي رب ترى المسكين يقرع باب فضلك والفاني
يريد كوثر البقاء من أيادي جودك لك الأمر في كل الأحوال يا مولى الأسماء ولي
التسليم والرضاء يا فاطر السماء."

ولو أن الإنسان غير لائق، لكن يمكنه أن يبلغ مقاماً تنعكس فيه السجايا الملكوتية وذلك إذا ارتدى قميص الإيمان. لأن عن طريق الإيمان والتصديق بمظهر الله لهذا العصر يصبح الشخص مهبط العون والمدد السماوي من الملائكة الأعلى.

نقل عن حضرة عبدالبهاء بأنه نطق بالكلمات التالية في سياق خطابه في وداع أول مجموعة من الحجاج الغربيين الذين تشرفوا بزيارته في عكاء سنة ١٨٩٩م:

"والآن هاكم وصية ستكون عهداً بينكم وبينني. ذلك بأن تؤمنوا، وأن يكون إيمانكم ثابتاً راسخاً كالصخرة التي لا تهزها العواصف ولا شيء يزعزعه، بل يظل باقياً حتى النهاية، بحيث حتى لو سمعتم أن مولاكم قد صلب فإن إيمانكم لن يتزعزع، فإنني دوماً معكم حياً كنت أو ميتاً، إنني معكم حتى النهاية. وعلى قدر إيمانكم سيكون حظكم من القدرة والبركات. هذا هو الميزان. هذا هو الميزان. هذا هو الميزان."

في "الكلمات الفردوسية" وجه حضرة بهاء الله هذه الكلمات المتحدية إلى رجال الدين:

"قل يا معشر العلماء هل تعترضون على قلم إذا ارتفع صريره استعداد ملكوت البيان لإصغائه وخضع كل ذكر عند ذكره العزيز العظيم. اتقوا الله ولا تتبعوا الظنون والأوهام. اتبعوا من أتاكم بعلم مبين ويقين متين."

لقد ارتفع صرير قلم حضرة بهاء الله وسط شعوب العالم، لكن القليل منهم استيقظوا على ندائه وهو يعلن للبشرية جمعاء مجيء يوم الله. ... كذلك تظهر عبارة "ملكوت البيان" في كثير من كتابات حضرة بهاء الله. ويستعمل حضرة بهاء الله كلمة "الملكوت" في نطاق مفهومها المعتاد تعبيراً عن عوالم الله الروحية التي لا يمكن لإنسان فهمها. فهناك مثلاً "ملكوت الأمر"، "ملكوت الخلق"، "ملكوت القدرة والاقدار"، "ملكوت الأرض والسماء"، "ملكوت المجد"، "ملكوت الأسماء"، وغيرها كثير. أما أن يكون "ملكوت البيان" قد "استعد لإصغاء" "صرير قلمه" الأعلى إذا ما ارتفع فإنه تصريح عجيب مذهل، وإن دل على شيء فإنما يدل على مدى عظمة ظهور حضرة بهاء الله. ويضيف مُنزلاً هذه الكلمات:

"بحر البيان ينادي ويقول يا أهل الأرض انظروا إلى أمواجي وما ظهر مني من لئاليء الحكمة والبيان اتقوا الله ولا تكونوا من الغافلين.

لقد قام اليوم عيد عظيم في الملاء الأعلى إذ ظهر كل ما وُعد به في الكتب الإلهية. وهو يوم الفرح الأكبر. يجب على الكل أن يقصدوا بساط القرب بكمال الفرح والنشاط والسرور والانبساط وينجوا أنفسهم من نار البعد.

يصرح حضرة بهاء الله في سياق لوح أنزله بحق الحاج محمد "علاقه بند"، أحد أتباعه المخلصين في يزد، سنة ١٨٨٧-١٨٨٨م، بأنه: "لعمرك الله حين النزول حضر أهل الفردوس الأعلى والجنة العليا لإصغاء النداء الذي ارتفع بين الأرض والسماء." وفي لوح آخريشهد أنه لو أمكن لرجال الدين والعلم الورود في محضره حين نزول كلمة الله، لما بقي أمامهم اختيار سوى الإقرار بأحقية أمره. ولمؤمن آخريلمح حضرة بهاء الله في لوح بأنه "لو كان حاضراً حين النزول لأخذك جذب الوحي على شأن وجدت ذاتك طائراً إلى مقام تخطف منه الأبصار."

وفي أحد ألواحه يكشف حضرة بهاء الله عن مدى غزارة نزول آيات الله في هذه الدورة. يتبين من لهجة هذا اللوح أنه أنزل قرب نهاية حياته الأرضية، ويذكر فيه كيف كان كاتب وحيه، ميرزا آقا جان، منهمكاً بتحرير آيات الله الهائلة من غيث سماء الوحي باستمرار "من العشي إلى الإشراق ومن الإشراق يجري قلمه على الألواح إلى الأصيل". ويصف أيضاً كيف كانت في الأيام السالفة "تنزل الآيات من الإشراق إلى الإشراق ومن الأصيل إلى الأصيل ولا يتوقف لسان الله في أقل من آن إلا لأمر آخر." يؤكد هنا بأن لسان العظمة "في تلك الأيام من الضعف الذي أخذني لا يرتفع الصوت من فم القدم...". يضيف مبيّناً بأنه حين نزول ذلك اللوح "لو أنطق في ساعةٍ يمنعني الضعف في ساعةٍ أخرى." ولكن متى عاود فإن "حين النزول ياخذني الشوق على شأن تهتز جوارحي من حب الله العزيز المحبوب." وينسب حضرة بهاء الله ضعف

جسده هذا إلى ما "اكتسبت أيدي الذين يظلمون ولا يشعرون". فقد تسببوا في منع "نعمات الله" عن الورى. لكنه يطمئن صاحب اللوح قائلاً: "ادعُ الناس من قلبي كما دعوتهم بلساني ولا أتوقف فيما أمرت به إلى أن يصعد الروح إلى مقر العظمة والكبرياء."

في "الكلمات الفردوسية"، كما في ألواح الأخرى، يوبخ حضرة بهاء الله أهل "البيان"، أتباع ميرزا يحيى، لضلالهم وجهلهم. فيخاطبهم قائلاً: "سبحان الله إن المعرضين من أهل البيان لم يُعلم بأي حجة وبرهان أعرضوا عن سيد الإمكان. فإن مقام هذا الأمر فوق مقام ما ظهر ويظهر."

ثم ينطق بهذا البيان الذي لا يمكن إلا أن يوصف بالمندهل:

"ولو حضر اليوم نقطة البيان وتوقف في التصديق -والعياذ بالله- لكان مصداقاً للكلمة المباركة التي نُزلت من مطلع بيانه حيث قال وقوله الحق: حق لمن يظهره الله أن يردّ من لم يكن أعلى منه فوق الأرض. قل أيها الجهلاء إن حضرته ينطق اليوم بأني أنا أول العابدين. فبضاعة عرفان الناس مُزجاة وقوة إدراكهم ضعيفة. شهد القلم الأعلى بفقرتهم وغناء الله رب العالمين."

ويخاطب أيضاً ميرزا يحيى، أخاه الخائن، بهذه العبارات المتحدية مذكراً إيّاه بالأيام التي طالما أملى فيها عليه من فيوضات الوحي وكان يكتبها بنفسه ثم يسمح لأخيه أن ينشرها باسمه، بصفته زعيم البابين:

"قل يا يحيى فأت بآية إن كنت ذا علم رشيد. هذا ما نطق به مبشري من قبل. وفي هذا الحين يقول إنني أنا أول العابدين. أنصف يا أخي هل كنتَ ذا بيان عند أمواج بحر بياني وهل كنتَ ذا نداء لدى صرير قلمي وهل كنتَ ذا قدرة عند ظهورات قدرتي. أنصف بالله ثم اذكر إذ كنتَ قائماً لدى المظلوم ونلقي عليك آيات الله المهيمن القيوم إيّاك أن يمنعك مطع الكذب عن هذا الصدق المبين."

كما يوبخ حضرة بهاء الله في هذا اللوح شخصاً آخر، من المسلمين، هو الحاج الملاّ هادي السبزواري، من فلاسفة ذلك الوقت المشهورين والشعراء المعروفين، والذي توفي سنة ١٨٧٣م. كتب عدة كتب في الفلسفة الإلهية، وكتاباته متوفرة في أسلوبَي الشعر والنثر. في إحدى قصائده يتفاخر الملاّ هادي بإدراكه الروحي. يُعتقد أن موسى، عليه السلام، سمع صوت الله من الشجرة المحترقة، ويصرح الملاّ هادي في قصيدته بأن موسى ليس موجوداً في هذا اليوم وأن النداء "إني أنا الله"، يمكن أن يُسمع من كل شجرة. ونظراً لهذا الادعاء فإن حضرة بهاء الله في عدة ألواح فضح جهل

هذا الرجل وكذبه في ادعائه المذكور من حيث كونه قد فشل في الاستماع لنداء حضرته في يوم الله العظيم. ويشير إليه في "الكلمات الفردوسية" قائلاً:

"قال الحكيم السبزواري لم توجد آذان واعية وإلا فزمزمة سدرة الطور موجودة في كل شجرة. وقد خاطبنا ذلك الحكيم المذكور المشهور في لوح أحد الحكماء السائل عن بسيط الحقيقة بأنه إذا كانت هذه الكلمة في الحقيقة صدرت منك فَلِمَ لَمْ تسمع نداء سدرة الإنسان المرتفع من أعلى مقام العالم. وإن كنت سمعت ومنعك عن الجواب الخوف والمحافظة على روحك فمثل هذا الشخص لم يكن ولن يكون لائقاً للذكر وإن لم تسمع فإنك محروم عن السمع. وبالجملة إنهم في القول فخر العالم وفي العمل عار الأمم.

إنا نفخنا في الصور وهو قلبي الأعلى وانصعق منه العباد إلا من حفظه
الله فضلاً من عنده وهو الفضال القديم."

والرجل الذي ذكر في "الكلمات الفردوسية" بالود والعطف هو ميرزا أبو القاسم الفراهاني، الملقب بـ"القائم مقام". ولو أنه لم يُذكر بالاسم، لكن أشير إليه في اللوح بعبارة "سيد مدينة الإنشاء والتدبير". كان هذا الرجل معاصراً لوالد حضرة بهاء الله وصديقاً وفيّاً له، وشخصاً مكرماً مبعجلاً لدى بلاط فتح علي شاه نظراً لحكمته واستقامته وكرمه وشجاعته ووقاره إلى جانب علمه ومعرفته. كان كاتباً ذا موهبة عالية

واعتبرت مؤلفاته من أفضل ما عُرف في مجال الأدب . وكرجل سياسة كان قديراً جداً، وقد وصفه حضرة عبدالبهاء بأنه في مقدمة رجالات إيران قاطبة . أصبح رئيساً للوزارة سنة ١٨٢١م واستمر في هذا المنصب حتى عهد محمد شاه (١٨٣٤-١٨٤٨م) . في بلاد عمّت فيها المظالم والفساد، كان ملتزماً بمعايير العدل والأمانة والصدق . تآمر عليه أعداؤه عن طريق تسميم عقل الشاه وجعله يعتقد بأن رئيس وزرائه يوشك على الإطاحة به . وفعلاً استولت هذه المفتريات على عقل محمد شاه وملائته ذعراً . وفي عام ١٨٣٥م تم إعدام القائم مقام في طهران بأمر من الشاه .

يصعب أن نجد في كتابات حضرة بهاءالله كلمة ثناء موجهة لأية سلطة حكومية في إيران . لكن الثناء الذي اختص به القائم مقام لهوشيء فريد ويدل على عظمة هذا الرجل . وبهذا الخصوص يصرح حضرة بهاءالله بأن من أشنع كبائر محمد شاه خلال حكمه هي نفي حضرة الباب إلى قلعة ماه كو، وقتل القائم مقام .

ولكن الله يكافئ عباده المخلصين بطرق غامضة . فأحد أحفاد القائم مقام، ميرزا آقا خان، الملقب "قائم مقامي" قد ورث عن جده كل صفاته البارزة . فقد كان مثلاً للوقار والكرم والشجاعة، ورجل ثقافة وإطلاع واسع . نشأ في بيت أسرته الفاخر في "أراك" . وفي إحدى جولاته التبليغية وصل السيد أسد الله القمي، وكان من مبلغي أمر الله المشهورين، إلى "أراك" . فدعاه والد ميرزا آقا خان، الذي كان شخصاً متحرراً

واسع الأفق، إلى منزله مع علمه بأن ضيفه من المبلّغين البهائيين. في حينه كان ميرزا آقا خان ما يزال شاباً مسلماً متحمساً لدينه. فشرع بسخط شديد لسماح والده باستضافة بهائي في المنزل، وصمم على وضع حد لذلك. فهمّ بمهاجمة السيد أسد الله، اعتقاداً منه بأن قتله بهائياً سيكسبه مرضاة الله، لكن سرعان ما هدأ الضيف هيجانه بلطافته وسحر شخصيته الودودة. وسرعان ما وُجد ميرزا آقا خان في ذلك المنزل وقد انقلب مزاجه بحيث جلس مسحوراً عند قدمي السيد أسد الله يصغي لحديثه وما يطرحه من براهين تثبت أحقية مقام حضرة بهاء الله. وقد بلغ تأثيره وقناعته بقوة الحجج هذه، إضافة لما شهدته من نورانية روحه، أن أصبح كل من ميرزا آقا خان وابن عمه من المؤمنين المتحمسين.

مع مرور الوقت أصبح ميرزا آقا خان من البهائيين البارزين حقاً، فقد جمع الآن إلى نبل خلقه وشهامته قوة الإيمان. فقام على خدمة أمر الله بحماسة وإخلاص قلماً وجد في معاصريه مثيلها. تمكّن في البداية من كسب قوته وأصبح مستقلاً عن ثروة أبيه، لكنه سرعان ما واجه مصاعب مالية خطيرة. بعد ذلك رأى حلماً شاهد فيه حضرة بهاء الله يشير عليه بالتوجه إلى تلة قريبة ووجهه لحفر موضع معين على جانب التلة واستخراج مكنوزات ثمينة مدفونة فيها. فقام ميرزا آقا خان الذي لم يراوده شك في صحة منامه، بالحفر ووجد كمية كبيرة من تحف ومجوهرات لا تقدر بثمن، وبذلك أصبح من أغنى رجال "أراك" وأكثر سكانها نفوذاً. خلال حياته الطويلة استعمل ثروته

الهائلة ونفوذه لدعم مصالح أمر الله الذي أحبه وأجاد في خدمته، ورغم غناه عاش حياة بسيطة جداً، لكنه كان درعاً قوياً للمؤمنين وهادياً وملجأً للمضطهدين والمحتاجين. وقد أكسبته صفات الكرم والنبيل والشهامة ورعاية رفاة الناس، ودّهم واحترامهم عموماً والبهائين خصوصاً.

في لوح من حضرة عبدالبهاء موجّه له يصرح بأن جده، القائم مقام، ينعم في الملكوت الأبهي، إذ قد يسر الله لحفيده بأن يكون آية الهدى للناس، وحامل راية الملكوت ومظهر المواهب السماوية.

كما أشير سابقاً فإن "الكلمات الفردوسية" قد أنزلت قبل صعود حضرة بهاءالله بعامين تقريباً. مع هذا ورد في طياتها هذه النبوءة التي سرعان ما كشفت حقيقتها بعد عقود قلائل من الزمن عندما اكتشفت الطاقة النووية:

"إن في الأرض أسباباً عجيبة غريبة. ولكنها مستورة عن الأفئدة والعقول. وتلك الأسباب قادرة على تبديل هواء الأرض كلها. وسمّيتها سبب للهلاك."

من الجدير بالذكر أن حضرة عبدالبهاء، نطق بهذه الكلمات في باريس في عام ١٩١١، خلال حوار جرى بينه وبين سفير اليابان لدى إسبانيا، الفيكونت أرواكا:

"إن المكتشفات العلمية قد طورت ورفعت من شأن المدنية المادية. وتوجد هناك قوة جبارة هائلة لم يكتشفها الإنسان، لحسن الحظ، حتى الآن. ولنصلي متضرعين إلى الله المحبوب عسى ألا يكتشفها العلم إلى أن تهيمن المدنية الروحانية على العقل البشري. وإذا تيسرت هذه الطاقة والقوة بأيدي رجال ذوي طبيعة مادية دنيا، فيمكنها تدمير الأرض بكاملها."

... وردت إشارة إلى كلمات من حضرة بهاء الله بخصوص اكتشاف "الخيمياء" أو الكيمياء القديمة، لتحويل العناصر، والتي يربطها حضرته بوقوع كارثة عظمى في العالم أجمع. ومن المعلوم الآن أن عملية تحويل العناصر ممكنة من خلال عمليات نووية معينة.

إن الفقرة التالية من "الكلمات الفردوسية" بحاجة إلى بعض التفسير. يلاحظ في كثير من ألواح حضرة بهاء الله النازلة في أواخر فترة عهده أنه كشف لبعض تلاميذه المخلصين عن كرب فؤاده بسبب سوء تصرف عدد قليل ممن يدعون بالمؤمنين الذين تحالفوا مع أنصار ميرزا يحيى في الآستانة سعياً منهم إلى تلطيح السمعة الطيبة لأمر

الله وصاحبه . وقد سببت تلك الحادثة المؤلمة حزناً عظيماً لحضرة بهاء الله قرب نهاية حياته الأرضية .

"يا أيها الناظر إلى الوجه . قد ورد في هذه الأيام ما كان سبباً للحزن الأكبر . ظهر من بعض الظالمين الذين ينسبون أنفسهم إلى الحق ما ارتعدت به فرائص الصدق والأمانة والعدل والإنصاف . ومع ظهور كمال العناية في حق ذلك الشخص المعلوم وإجراء العطاء له فعل ما بكت به عين الله ولقد ذكرنا من قبل ما يوجب التذكر والانتباه وسترنا سنين لعله ينتبه ويرجع فلم يظهر لذلك أثر . وقام أخيراً بتضييع أمر الله أمام وجوه الخلق وهتك ستر الإنصاف ولم يرحم نفسه ولا أمر الله . والآن قد غلب حزن أعمال بعض الآخرين على حزن أعماله . أطلب من الحق أن يؤيد النفوس الغافلة على الرجوع والإنابة إنه هو الغفار وهو الفضال الكريم ."

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"